خطبة صلاة الجمعة 25/ 10/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الغيرة المفرطة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1]، قال ابن كثير: يهدي إلى الرشد أي يهدي إلى السداد والنجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10]، قال المفسرون: معنى قوله: هيئ لنا من أمرنا رشداً: يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق، والرَشَد والرُشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فإنه لا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئا».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة العاشرة في سلسلة **(دليل إرشادي)**، تتناول كلُّ خطبةٍ منها مشكلةً اجتماعيةً أسريةً أو ماليةً أو أخلاقيةً وقع فيها عدد منا، وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتقدم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى تعينه على تبصر طرق الحل، وتمكنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزة تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة؛ لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذ الاختلاف بين البشر سنة والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **(الغيرة المفرطة)**

المسألة:

تسألني زوجتي أسئلةً تحقيقيةً في كل خروج ودخول (أين، متى، كيف، لماذا، مع من...)، وتتصل بي إلى العمل في اليوم الواحد مرات كثيرة، ومراراً ما رأيتها تفتش جوالي ودرجَ مكتبي وحقيبتي الخاصة، وعندما رجعنا آخر مرةٍ من السوق لم تدعني أنام، وهي تعاتبني وتسائلني وتحقِّقُ معي حولَ الفتاة التي كلمتْني في الطريق، وسألتْني عن حالة والدتي الصحية، أخبرتُها أنها ممرضةُ المشفى التي دخلتْها أمي قبل شهر... ولم تصدقني وألقت عليّ الاتهامات المخزية، ومضَتِ الليلةُ بشرّ، ثم عادت بعد أيام معتذرة.

لم أعُدْ أطيقُ الصبرَ... فماذا أفعل، أرشدوني؟!

الدليل الإرشادي:

في الدليل أربع فقرات: الغيرة المرْضية والغيرة المرَضية، لماذا كَثُرتْ الغيرة بين الأزواج في هذه الأيام؟، وخمس نصائح للتعامل مع الزوجة المفرطة في الغيرة، وخمس كلمات للزوجة المفرطة في الغيرة.

أولاً: الغيرة المَرْضية والغيرة المَرَضية:

الغيرةُ أمرٌ محمودٌ يدلُّ على حبِّ الزوجة زوجَها وتعلُّقِها به، لكنَّه إنِ اقترنَ بضعفِ ثقةِ الزوجةِ بنفسها وسعيها لامتلاكِ زوجها، صارت غيرةً مَرَضيةً مذمومة.

الغيرةُ ظاهرةٌ صحيةٌ تدفعُ إلى التنافس، وتخدم البقاء، لكنها تتحوَّلُ إلى ظاهرةٍ مَرَضيَّةٍ عندما يفكر الذي يغارُ بقتل الذي يغارُ عليه إنْ رآهُ يتحدثُ إلى غيرِه، أو يختلطُ بغيرِه أو ينشغلُ عنه...

الغيرةُ محمودةٌ عندما ينضبطُ صاحبُها في تصرفاته بالشرع، فيغارُ على حرماتِ الله أن تُنتهَك، ويَغارُ على زوجِه وولدِه وعرضِه وأرضِه، لكنها تغدو مذمومةً عندما يتجاوزُ صاحبُها الضوابطَ الشرعيةَ،

فيتجسَّس على مَن يغارُ عليه، ويراقبه في حلّه وترحاله، وربما رماهُ بالمحرماتِ وهو منها بريء، ويصل به الأمرُ إلى درجةِ الشكِّ والوسوسة.

والسلوك الذي يورث الغيرةَ المفرطةَ المرَضيةَ منهيٌّ عنه شرعاً وعقلاً؛ ففي صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: **«نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلاً يَتَخَوَّنُهُمْ أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ»** وعند أبي داود وغيره عن جابر بن عتيك رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: **«من الغَيْرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، فأمَّا التي يحبُّها الله: فالغيرة في الرِّيبة، وأما التي يبغضها الله: فالغيْرة في غير ريبة»** وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ثلاثٌ لازماتٌ لأمتي: الطيرة، والحسد، وسوء الظن»، قيل: ما يذهبُهن يا رسول الله؟ قال: «إذا حسدتَ فاستغفرِ الله، وإذا ظننتَ فلا تحققْ، وإذا تطيَّرت فامضِ»** [الطبراني].

فالحاصل أنّ الغيرة محمودة مرْضية ما دامت تحفظ الحرمات وتحافظ على العلاقات، وأن الغيرة مذمومة مرَضية ما دامت تريد الاستحواذ على كل شيء ولا يثق صاحبها بشيء.

ثانياً: لماذا كَثُرتْ الغيرة على الأزواج في هذه الأيام؟

تكثر الغيرة المفرطة، بسبب إطلاقِ البصرِ إلى المحرمات، من قِبل بعض الرجال أو النساء، فكيف لزوجةٍ ترى زوجها يجولُ ببصرِهِ هنا وهناك أن ترتاح، وكيف لزوج يرى زوجته تتابع ما لا يليق من المواقع أن يرتاح ؟!.

وتكثرُ الغيرة المفرطة، بسببِ التبرجِ وعرضِ المفاتن في الطرقات، واستخدامِ مفاتنِ الرجلِ أو المرأة في الدعايات للسلع.

وتكثرُ الغيرة المفرطة، بسبب الاختلاطِ غير المنضبط، الحقيقي والالكتروني، وبسبب المواقعِ الماجنةِ، والقنواتِ الهابطةِ، والإذاعاتِ اللاهيةِ.

تكثرُ الغيرة المفرطة، بسببِ قلةِ الزواج، وبسبب وقتِ الفراغ، وعدمِ ملئِهِ بالخيرات والمنافع؛ الأمرُ الذي يقلّلُ كفاءاتِ المرأةِ أو الرجلِ العقليةِ والعلميةِ والدينيةِ والعمليةِ، فيُفقدُهُ أو يفقدُها الثقةَ بنفسها؛ الأمرُ الذي يدفعها إلى الغيرة.

أقول هذه هي الأسبابُ العامةُ لكثرة مسائل الغيرةِ المفرطة.

وإذا كانت هذه هي الأسبابُ، فعلاجها بأضدادها.

فمِمَّا يساعدُ على تخفيفِ حالاتِ الغيرةِ وعوارضِها التزامُنا جميعاً بالشرع في غضِّ البصر، وتركِ التبرُّجِ، وهجرِ الاختلاطِ، وتيسيرِ الزواج، وملءِ وقتِ الفراغ بالنافعات، وثقة المرء بنفسه وبالآخرين.

ثالثاً: خمس نصائح للتعامل مع الزوجة المفرطة في الغيرة:

1- الغيرةُ عند زوجتك دليلُ محبةٍ وتعلُّقٍ كبيرين، فاستثمرْهُما وقدِّرْهما، والتزمْ الحلمَ والحكمةَ والرفقَ أسلوباً في تعاملِكَ مع غيرتها.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلتْ إحدى أمهاتِ المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربَتِ التي النبيُّ صلى الله عليه وسلم في بيتها يدَ الخادم، فسقَطَتِ الصحفةُ فانفَلَقَتْ، فجمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم فلقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: **«غارتْ أمُّكم»**. ثم حبسَ الخادمَ حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرَت صحفتُها، وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرَت فيها. [رواه البخاري].

2- احرصْ على تجنُّبِ إثارةِ غيرةِ زوجتِك، وجنِّبْ نفسَك مواطنَ الشبهات؛ كالحديث عن زميلاتِ العملِ، أو التعبيرِ عن الإعجابِ بالشخصياتِ النسائية، أو النظرِ إلى المحرمات في المواقع والأفلام، وتجنبِ السلوكيَّاتِ المثيرةِ للشكِّ؛ كالتحدُّث في الهاتف بصوتٍ منخفِض جداً، أو التكتُّم على أغراضك، وعدم السماح للزوجة بالاقتراب منها.

3- أخبرْ زوجتَك ببعضِ أمورِكَ الخاصة ومشاريعِكَ، إشعاراً منك لها بأنك واثقٌ بها، مُطمَئنٌّ إليها، فإنَّ السريةَ المبالغَ فيها تُثيرُ غيرتَها، وينفعُ أيضاً اصطحابُها معك في بعض زياراتك وأعمالك.

4- أثْنِ على زوجتك، وامتدحْ فيها إيجابياتها، وأخبرها أنك فخورٌ بها، سعيدٌ معها، وأنها أفضلُ النساء في عينك؛ لأنَّ وراءَ الغيرة شعوراً بالنقص، وعدمَ ثقةٍ بالنفس.

5- الجأْ إلى الله تعالى في حلِّ مشكلةِ غيرةِ زوجتِكَ الزائدة، فهو أسلوبٌ نبَويٌّ، فعن أمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: أرسل إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاطبَ بنَ أبي بلتعة يخطبني له، فقلتُ: إنَّ لي بنتاً وأنا غيورٌ، فقال: **«أمَّا ابنتُها فندعو اللهَ أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهبَ بالغيرة»** [مسلم].

رابعاً: خمس كلمات للزوجة المفرطة في الغيرة:

1- اقبلي نفسَك وثقي بنفسك، وأيقني أنَّ زوجَكِ اختارَكِ من بين العشرات والمئات والألوف؛ لأنَّكِ الأنسبَ له والأحسن.

2- ليس من حقِّ أيِّ إنسانٍ أن يمتلك إنساناً آخر، فنحن نقبل الغيرة النابعة من الحب ولسنا نقبل الغيرة النابعة من حب التسلط والتملك، فلا تتحوَّلي إلى سجَّانةٍ لزوجك.

دعي له بعضَ الوقت مع أصدقائه، اجعلي له يوماً مفتوحاً، يذهبُ حيث يشاءُ، ومع مَن يشاءُ مِن أهله وأصدقائه، دعيهِ يذهبُ لكي يعودَ، لا تخنقيهِ، لا تضعيهِ في السجن حتى وإن كان السجنُ جميلاً.

3- اجعلي سلوكيات غيرتِك منضبطةً بالشرع، ولْيكنِ الشرعُ هو الحاكمُ عليها، فلا تتجسَّسي؛ لأنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: 12]، وفي الحديث: «**لا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا**» [البخاري ومسلم]، ولا تتكلمي في أعراض الناس، أو في غيبتِهم؛ لأن اللهَ تعالى يقول: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات: 12] وقال صلى الله عليه وسلم: «**إنَّكَ إذا اتَّبعْتَ عوراتِ الناسِ أفسدتَّهم، أو كِدتَ أن تفسدُهُم**» [أبو داود].

4- استمعي إلى زوجِك، إذا قال لك: إنَّ مخاوِفَكِ غيرُ صحيحةٍ، ولا ترفضي ذلك فوراً. وبصِّريه برويَّةٍ ومن دون هجومٍ أو عنفٍ، بسلوكياتِهِ التي تزيدُ غيرتَكِ وتؤلمك.

وقولي له صراحةً: إنكِ تغارين عليه، ولا تقولي: إنني أتهمُك، إنني أشكُّ فيك، ولكن قولي: حاول أن تفهم مشاعرَ المرأة التي تحب، أكِّدي له أن الأمرَ ليس عدمَ ثقةٍ، ولكنه خوفٌ يصلُ إلى حدِّ الرعب من فقدِ الحب.

5- لا تدعي زوجَكِ يشعرُ بالنقص العاطفي؛ لأنَّ النقصَ يؤدي إلى الضعف، ثم إلى الموت.

بعد كل هذا، إذا لم تنفعْ هذه المعالجاتُ، فنحنُ نحتاجُ إلى مَن يساعدُنا من المرشدين النفسيين، والأطباء الاختصاصيين.

وبعد أيها الإخوة:

نقول للأخ صاحب المسألة: غيرة زوجتك فطْرةٌ، ودليل محبة، فاستثمرها في بناء بيتكما، وإن جاوزت الغيرة حدّها فترفق في التعامل مع زوجتك وعزز ثقتها بنفسها وابتعد عن مثيرات الغيرة عندها.

ونقول لزوجته: من حقك أن تغاري على زوجك ولكن ليس من حقك أن تتملكيه، فاعتدلي بغيرتك وتوسطي، وإذا شككت فلا تحققي، واحذري أن تتمادى بك الغيرة فتكونَ سبباً لدمارِ أسرتِكِ؛ قال أبو الأسود الدؤلي موصياً ابنتَه يوم زفافها: (إياكِ والغَيرة –يعني: المفرطة المرضية– فإنها مفتاحُ الطلاق). والله أعلم.

ختاماً – أيها الإخوة:

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**.

والحمد لله رب العالمين